المحاضرة الثانية: النخب والفعل الاجتماعي

1- تحديد مفهوم النخبة:

لغة: مفردة النخبة مشتقة من نخب وانتخب، ينتخب، انتخابا ويقال: نخب الرجل الشيء نخبا وانتخبه أي اختاره وانتقاه بمعنى الانتخاب والانتقاء. بينما عرف ابن منظور النخبة في قاموس لسان العرب بأنها اشتقت من نخب وانتخب الشيء بمعنى إختاره ونخبة القوم هم خيارهم واصطفى الشيء بمعنى إختاره واستخلصه، وهناك من يرى بأن مفردة "الصفوة" هي نفسها كلمة "النخبة" والصفوة مشتقة من صفا، يصفو، صفوا. ويقال صفا فلان القدر بمعنى أخد واستخلص ما فيها، والمصطفى هو المختار والصفي هو النقي من كل شيء.

- اصطلاحا: يرى "توماس بوتومور" أن أقدم استخدام لكلمة "نخبة" في اللغة الانجليزية وفقا لقاموس أكسفورد كان سنة 1823، حيث تم توظيف مفهوم "النخبة" (Elite) في القرن السابع عشر لوصف السلع ذات النوعية الممتازة، ثم اتسع هذا المفهوم للدلالة عن الجماعات الاجتماعية العليا كبعض الوحدات العسكرية العليا أو المراتب العليا من النبالة.

أما سوسيولوجيا: وحسب المعجم النقدي لعلم الاجتماع فإن "باريتو" هو الذي أعطى صيتا لمصطلح النخبة حيث يرى أن النخبة هم أفراد توفرت فيهم شروط التميز والنجاح في إطار نشاط اجتماعي معين وهو يقول في هدا الشأن[... لنضع إذن طبقة من الذين يتمتعون بالمؤشرات الأكثر ارتفاعا في الفرع، الذي يؤدون فيه نشاطهم ولنعط لهذه الطبقة اسم النخبة...] وعلى هذا الأساس فان النخبة هم طبقة متميزة بخصائص نفسية واجتماعية تبوئها مراكز الطليعة في مجالات اجتماعية واقتصادية وفنية معينة.

ويعرفها هانز دريتزل بقوله: "تتكون النخبة من الذين يحتلون مواقع سامية في جماعة ما، أو في منظمة أو مؤسسة، وقد وصلوا إلى هذه المواقع المتميزة والعالية بفضل انتقائهم على أساس قدراتهم الكفائية الأساسية. ويملكون السلطة والتأثير بفضل المناصب التي يشغلونها، ولها قوة النفوذ، ويملكون قرار تغيير بنية المجتمع والمعايير التي تتحكم فيها. وتؤهلهم مكانتهم ليكونوا نموذجا للاقتداء والتأثير في أفراد جماعتهم.

2- مفهوم النخبة عند الرواد:

- النخبة عند فلفريدو باريتو (1848-1923):سعى "باريتو" لتوظيف نظرية النخبة كرد فعل على نظرية الطبقة السياسية عند "كارل ماركس" فهو يرى بأن النخبة هي مجموعة صغيرة من الأفراد الذين نجحوا في مجالات الحياة الاجتماعية واستطاعوا أن يرتقوا في بنية التراتب الاجتماعي وأن يقوموا بإنجازات في المجال المهني حيث أن هذه الفئة تنبثق من المجتمع لتقوده وتحكمه فلا يعقل أن يبقى أفراد المجتمع دون قيادة.

لقد فسر"باريتو" بناء وتشكل النخب انطلاقا من بعد سيكولوجي محض يتمثل في المواهب والفروق الفردية بين الأفراد لأن هذه الفروق السيكولوجية هي التي ستؤهل بعض الأشخاص الأذكياء ليرتقوا إلى مصاف النخب. كما أنه قام بالتمييز بين فئتين من النخب، إحداهما نخبة حاكمة أما الثانية فإنها نخبة لا تحكم؛ حيث أن الأولى تتولى أمور الحكم والسياسة والثانية فهي

نخبة يتواجد أفرادها في مراكز اجتماعية مختلفة كالإدارة والصناعة والسينما...إلخ. فإذا كان التاريخ عند "ماركس" يتجسد في الصراع الطبقي في المجتمع فإن "باريتو" قد قام بتحليله في إطار صراع النخبة مع عامة الجماهير حيث تظهر الأقلية القائدة والأغلبية المنقادة؛ فالتاريخ عنده ما هو إلا مقبرة للارستقراطيات.

- النخبة عند جيتانو موسكا (1858–1941): لقد تساءل "جيتانو موسكا" عن سبب احتكار السلطة من طرف أقلية صغيرة العدد وهو ما دفعه إلى الاعتقاد أن التاريخ هو صيرورة لسيطرة الأقلية على الأغلبية، وهو بذلك عمل على توظيف مفهوم الطبقة السياسية للدلالة على مفهوم النخبة غير أنه قام بتفريغ مفهوم الطبقة من مضمونه الاقتصادي كما كان يراه الماركسيون. حيث أنطلق "موسكا" من الفكرة التي مفادها بأن ممارسة السلطة تحتاج إلى القوة، من أجل إضفاء الشرعية على وجودها تحتاج إلى الإيديولوجية الديمقراطية التي تبرر بأن ممارسة السلطة في الواقع الاجتماعي إنما تحدث بسبب وجود أقلية تسمى "الطبقة السياسية" أو الطبقة القائدة وبالتالي ستتحول هي في حد ذاتها إلى نخبة حاكمة.

- النخبة عند شارل رايت ميلز (1916 – 1962): قام "رايت ميلز" بتوظيف مفهوم " نخبة السلطة " وهو نفس العنوان الذي ظهر به كتابه الصادر سنة 1963 حيث تركزت أعماله عن القادة الحقيقيين الذين يحكمون الولايات المتحدة في عهد الرئيس "أيزنهاور" حيث أنه توصل إلى أنهم يتموقعون في ثلاثة مؤسسات كبرى وهي: المؤسسة السياسية(الأحزاب– البرلمان) والمؤسسة الصناعية – والمؤسسة العسكرية. وقد أرجع ذلك إلى طبيعة المنظمات الحديثة التي نشأت بسبب التغير والتحول الذي عرفه العالم المعاصر(التقدم العلمي– الشركات العملاقة – الرفاه الاقتصادي) فهذه العوامل هي المسؤولة عن ظهور" نخبة السلطة " في المجتمعات الرأسمالية.

لقد انتقد "رايت ميلز" مفهوم الطبقة الذي وظفه "موسكا" باعتبار أن هذا المفهوم يعبر عن مجموعة من الأفراد تربطها علاقات اقتصادية أو مصلحيه بينما نظام الحكم والسلطة فهو ذو دلالات سياسية، لدى فإنه يرى بأن مفهوم " نخبة السلطة " هو المفهوم الذي يستطيع أن يشرح لنا دينامكية الهيمنة التي استعملتها هذه الأقلية للسيطرة على صناعة القرار في أمريكا كما وجد بأن هناك عاملان يجمعان هذه الفئة وهما:

– المصالح المشتركة : تقوم مجمعات الصناعة العسكرية بتمويل حملات مرشحي الأحزاب السياسية، بينما سيعمل هؤلاء عند تسلمهم لمقاليد السلطة بتسليح الجيش الأمريكي عن طريق شراء أسلحة المصانع العسكرية أو لشن حروب خارجية بغية تمكين أصحاب هذه المصانع من بيع الأسلحة التي ينتجونها عبر العالم.

– التقارب الاجتماعي : يظهر في نوعية التوافق النفسي والاجتماعي بين هذه الفئة والتي ستكلل بعلاقات مصاهرة وقرابة عائلية فيما بعد.

3– مميزات النخبة: إن توافر مميزات معينة في الأفراد كفيلة بأن تؤهلهم إلى الانتماء إلى مصاف النخبة والتي نجد من بينها:

أ/التميز: ينظر أصحاب الاتجاه السيكولوجي في تناول "النخبة" ومنهم "باريتو" إلى أفراد النخبة باعتبارهم عناصر يشكلون فئة تتوفر فيها مميزات النبوغ والتفوق والذكاء والقدرة على القيادة والتميز على الآخرين في النشاطات التي يشرفون عليها وحسب نظرهم فإن هذه المميزات الذاتية هي التي تجعلهم في صدارة الطبقات الاجتماعية.

ب/التنظيم: من بين مميزات النخبة حسب أنصار الاتجاه التنظيمي في دراسة النخبة والذين نجد من بينهم "موسكا" وتلميذه "متشلز" اعتقادهم بأن آية مجموعة لا يمكنها الوصول إلى مصاف الفئة النخبوية إلا إذا توفرت فيهم القوة التنظيمية وتقديرها الدقيق لمصادر السلطة ومراكز القوة في المجتمع، وتعد هذه الميزة من بين أهم الميزات التي تختص بها النخب الحالية خاصة في عهد العولمة المبنية على المصالح و التحالفات.

ج/الاحتكار: تسعى النخب إلى احتكار رؤوس الأموال المتوفرة لديها سواء أكانت رؤوس أموال اقتصادية أو سياسية أو ثقافية أو رمزية...الخ، لأنها تشكل عامل قوة بيدها، وفي حالة ما إذا لم تتوفر لديها رؤوس الأموال هذه، ستسعى للحصول عليها بكل الطرق المتاحة.

د/الدوران: إن البشر هم صانعو التاريخ عبر ملاحمهم وإنجازاتهم وإخفاقاتهم وأخطائهم، ولذلك فكما يمكن للأفراد الانتقال من طبقة إلى أخرى عبر ما أصطلح عليه علماء الاجتماع "بالحراك الاجتماعي" فكذلك الأمر بالنسبة للنخبة، حيث أنه يمكن للأفراد أن يدوروا بين نخبة واحدة، أو بمقتضى عملية تحتل فيها نخبة معينة مكان نخبة أخرى، كما يمكن لأفراد من الطبقات الفقيرة أو المتوسطة الوصول إلى مستوى الطبقات الحاكمة خاصة في مجال السياسة.

4- مصادر صناعة النخبة: يمكننا القول بأن صناعة النخبة تختلف حسب الظروف الزمنية والمكانية لكل مجتمع، غير أننا نعتقد بأننا لسنا في غنى عن التحديد الذي وضعه الفيلسوف الايطالي "انطونيو غرامشي" الذي رأى بأن كل فئة اجتماعية مسؤولة عن صنع وإيجاد مثقفيها، فالطبقة العصرية ستختار مثقفين عضويين، أما الطبقات الآيلة للزوال فحتما سترتبط بمثقفين تقليديين. وبهذا سيشكل هؤلاء المثقفين نخبا مستقبلية إذا توفرت لهم شروط معينة. وفي واقع الأمر يمكننا أن نؤكد بأن صناعة النخبة تتم وفق مصدرين مختلفين هما:

- مصدر رسمي: حيث أن إعداد النخبة يتم بطريقة موجهة وفي إطار مؤسسات رسمية ولأهداف محددة ومخطط لها سلفا، فمثلا تعمل الجامعات على إيجاد نخبها الخاصة بها، كما أن التجار ورجال الأعمال يوجدون نخبهم في المدارس العليا لإدارة الأعمال...الخ.

- مصدر غير رسمي: حيث يمكن لأي فرد غير مرتبط بطبقة أو مجموعة معينة أن ينجح في مجالات الحياة الاجتماعية وأن يدخل إلى عالم النخبة وهو ما يحدث كثيرا في أيامنا هذه ونجد من بينهم العلماء والكتاب، الفنانون، الرياضيون...الخ.

5- أنواع النخب: تختلف التصنيفات التي ميزت بين أنواع وأشكال النخب المتواجدة في جل المجتمعات تقريبا غير أنه يمكننا تناول أهمها و هي كالآتي:

أ– النخبة المثقفة (الأنتيلجنسيا): وتشمل جميع الأشخاص الذين حازوا على تعليم عال سواء في الجامعات أو في المعاهد أو المدارس العليا و يشتغلون في مجال الفكر والثقافة والذين نجد من بينهم الكتاب الصحفيون الروائيون المفكرون الفلاسفة المنظرون الأساتذة الجامعيون.

ب– النخبة السياسية: حيث أن كثير من الدراسات ركزت عليها كأقلية تتحكم في مقاليد السلطة خاصة دراسات **"**موسكا" وتلميذه "متشلز" اللذان تناولا الفئة التي تتحكم في السلطة وعموما يمكن القول بأن زعماء الأحزاب السياسية ورؤساء الحكومات والوزراء وأعضاء البرلمان ومجلس الشيوخ، كلهم يشكلون صدارة النخبة السياسية في المجتمعات المعاصرة

ج– النخبة البيروقراطية: وكذلك تسمى بالنخبة التكنوقراطية وهم مجموعة من الإداريين الذين تخرج أغلبهم من الجامعات ومراكز التكوين وبعد شغلهم لوظائف إدارية بواسطة الخبرة والترقية يرتقون إلى مصاف النخبة الإدارية التي تصبح من صانعي القرار الإداري والتسيير وإدارة الشأن العام

د– نخبة رجال الأعمال: تتكون هده الفئة من أفراد تمكنوا عن طريق التجارة أو الصناعة أو السياسة أو المضاربة من تكوين ثروات بحيث أنهم يشكلون أرقاما مهمة في مجال المال والأعمال وهم أصحاب ممتلكات وعقارات وشركات وأرصدة مالية ضخمة وهم يتجمعون في اتحادات خاصة بهم، حيث ينظر إليهم بأنهم من أخطر النخب المؤثرة على صناعة القرار السياسي المحلي والدولي

هـ– النخبة العسكرية: ينظر إلى الضباط السامون بأنهم يشكلون نخبة القوات العسكرية حيت يتوزعون على قيادة الأركان أو كعمداء للنواحي العسكرية كما أن هناك من يرى بأن نخبة جنود القوات المسلحة إنما تكمن في "قوات القناصة" بالإضافة إلى "القوات الخاصة.**"**

و– النخبة الدينية: و تتمثل في القادة الدينيون ووجهاء الطوائف الدينية وعلماء اللاهوت والعقيدة وكل من يشكلون مراجع دينية أو أصبحوا زعماء لأتباع تجمعهم رابطة دينية، فمثلا يشكل بابا الكاثوليك وكاردينالات الفاتيكان نخبة المسيحيين، بينما يعد الفقهاء و علماء الدين عند المسلمين نخبة النخب الدينية بلا منازع

ز– النخبة الرمزية: يعتقد بعض الباحثين بأن هناك بعض النخب التي لا يتم إيلائها أهمية بالغة رغم أهميتها مثل رؤساء الأحزاب السياسية ونجوم الفن والسينما والرياضة...الخ. حيث يعتبرون كرموز ومرجعيات لمجموعة هائلة من الأتباع والمعجبين.

ح– النخبة النسوية: هناك من الباحثين من يرى بأن نساء العالم تقودها نخبا نسويه في إطار ما يسمى بالحركة النسوية والدفاع عن حقوق المرأة، كما أن السياسيين يعملون على توظيف ورقة النساء في الانتخابات عن طريق اختيار قيادات ترمز لمطالب المرأة وذلك من أجل استمالة هذه القوة الانتخابية لصالح برامج الأحزاب المتنافسة مثلما هو حاصل حاليا في كل بلدان العالم تقريبا.